

تأملات في الأدب والحياة

للأستاذ إسماعيل مظهر

شُرور

تاريخ الصراع الأدبي في مصر، وتاريخ الصراع السياسي، يتلخصان في معارك تقوم بين أشخاص، ولقد أدركت هذه الظاهرة النقد أيضاً. فتاريخ النقد في مصر عبارة عن موازنة بين كاتبين أو شاعرين يحاول الناقد أن يملأ أحدهما على الآخر. أما مذاهب الأدب ومذاهب السياسة ومذاهب النقد. فهذه لقيمة لها في نظر الأديب ولا في عرف السياسي ولا في تقدير الناقد وعامة ذا شذوذ، بل خروج على طبيعة الأشياء

أفهم أن يقوم الصراع الأدبي بين مذهبين يمثلهما كتاب أو شعراء يستقون في الأدب مذهباً محدود المرامي بين الثابتات. وأفهم أن يقوم الصراع السياسي بين أحزاب تقتتل على مبادئ عامة تتعلق في أكثر الأمر بالخير المنشود للعدد الأكبر من الناس. وأفهم أن يقوم النقد على فكرة منطقية يقتنع الناقد بصلاحياتها وحقها في البقاء، فيمضي في نقد الكاتب أو الشاعر انتصاراً لتلك الفكرة. وأفهم فوق هذا كله أن يقتتل كاتبان ولكن انتصاراً لمذهبين يستق كل كاتب مذهباً منهما، والغلبة للأصلح من المذهبين. أما الذي لا أفهمه ولا أستطيع أن أفهمه يوماً من الأيام، فإن يتطوع ناقد لنصرة كاتب على آخر، أو شاعر على شاعر غير احتساباً لوجه الله الكريم، من غير أن يكون الناقد في نقده مخلصاً أول شيء لمذهب بين في الأدب يعتنقه الكاتب المنتصر له

وما أبرئ نفسي؛ فإن عدم قدرتي على فهم هذه الأشياء قوة لم أشهد لها في نفسي إلا منذ عهد قريب، وما بشي إلا ذلك الصراع الذي قام على صفحات (الرسالة) بين أنصار صديقي الأستاذ العقاد، وصديقي المرحوم الأستاذ الراقى، صديقان مات أحدهما وأدعو الله أن يمد في عمر الآخر. سكنت أحدهما وطواه الزمن، وصمت الآخر على ما كان بينه وبين الأديب الراحل

نحلة للموت ونجدة لذكرى أديب جاهد في سبيل الأدب، ودفعاً لحزازات ما أجدر الموت أن يكون ماحياً لآثارها وذكرياتها لقد سمعت صاحب الحق الأول؛ وما كان ليتكلم وقد خلا الميدان من مناظره، وهو يعلم أن الكلام في مثل هذا الظرف جريمة في شرعة الأدب، بل خطيئة من التكرات

سمعت صاحب الحق وتكلم غير احتساباً، وحاشا أن أقول هنا لوجه الله، لأن الله لا يأمر بأن تنبش الحزازات وتحتفر الضمائر ويكشف عن السيئات دون الحسنات. أم تقول قولة أنطوني على جثة قيصر: «إن الشر الذي يعمل الناس يعيش من بدمهم؛ أما الخير فيدفن مع عظامهم ١٢»

ولست أدري أي وصف توصف به هذه القضية لو تقدم بها خصم ثالث إلى مجلس حسي بنصب لمحاكمة الأدباء؟

لتغير التاريخ

قرأت، كما قرأ غيري، قول بعض المؤرخين: «لولا لم يكن كذا لتغير التاريخ». وهو قول ظاهره خلاف جميل؛ قول سمته الحق، ولكني لم أر حقاً يراد به باطل أكبر من هذا الحق قبل مثلاً: لو أن أنف «إقليد فطرا» كان أقصر قليلاً مما شاءت الطبيعة لتغير التاريخ. ولماذا؟ لأنها كانت بأنفها «الأقصر قليلاً» تستطيع أن تغوى «أوكتافيانوس» كما أغوت «أطونيوس» من قبله. وإن نظرة أولية في هذا الكلام تدلنا على أن ما فيه من الحق إنما هو بمثابة البرق الخلب، يبهز النظر ويأخذ باللب، ثم لا يترك في نفسك من الأثر إلا أثر اللمحة المارة تستذكرها، ولكنك قلما تفكر فيها قليلاً. فمن ذا الذي أعلننا أن أوكتافيانوس، قائد الرومان العظيم، وأول أباطرتهم العظام، كان يستغويه أنف دقيق ولا يستغويه أنف طويل؟ وعلى أية قاعدة نحكم بأن ذلك القائد كان على استمداد لأن يغوى، دق أنف الملكة المصرية أو كبر؟ أما الحق فإن أنف «إقليد فطرا» قد ظلم

وقيل أيضاً: لو لم يظهر نابليون لتغير التاريخ. وجملة ما في هذا القول من الحق في مقتضى أن التاريخ ما كان ليتغير إلا بأن يحدف منه اسم نابليون ليحل محله قائد آخر يفعل من الأشياء ويحدث من الأحداث ما قد أدت إليه أعمال نابليون بالذات،

وما يصح عن نابليون يصح عن هينريال وعن الاسكندر الأكبر وعن غيرهم من العظماء الذين نقول اعتباطاً إنهم غيروا التاريخ لو صح قول القائلين: «لو لم يكن كذا لتغير التاريخ» لبدت الانسانية في صورة عجائزات تضرب في فيان وقفار، ويحيط في ظلمات مدلهمة خيط عشواء، تقبض على زمامها شهوات الأفراد وتقودها زوائهم وانفعالاتهم، وتصرف أمورهم أخيلة قلة من الناس في مقدرتهم أن يخلقوا التاريخ ويبتكروا المستقبل ابتكاراً من غير أن يتقدم ذلك الابتكار أية مقدمات تسوق إليه، على العكس من كل تناسب في نظام التطور الاجتماعي، وعلى الضد من المنطق الدرك من نظام الطبيعة

أما إذا أردنا أن نثبت هذا المذهب فينبغي لنا أن نحلل مثلاً أو مثليين مما ذكرنا. أما مثل «إقليو فطرا» والقائد الروماني، فإن حوادث التاريخ ذاتها تدل على أن الحق كان قد ملأ قلب أوكتافيانوس تلقاء ملكة مصر وزوجها أنطونيوس حتى ليتعذر معه أن يجد جمال إقليو فطرا أو فتنها طريقاً إلى قلبه

كان أنطونيوس وأوكتافيانوس صديقين اقتسما القوة والبطش في رومية، وقضى أنطونيوس على قتلة قيصر في سلسلة من المواقع الشهورة، ثم نزا الشيطان بينهما ففرقت بينهما المكائد والسمائس، ثم تصافيا وتزوج أنطونيوس من شقيقة أوكتافيانوس توثيقاً لصداقتهما، ثم سافر إلى الشرق فالتقى بالملكة المصرية وتزوج منها وهجر رومية ومن فيها، ثم استبان الرومان أن ملكة مصر تحاول من طريق عشيقها الروماني أن تذلل رومية وأن تصبح ملكة الدنيا، فقام الصراع بين مصر ورومية وانتهى بمصرع الماشقين. فهل هذه مقدمات يمكن أن تؤدي إلى غير ما حكم به منطق الواقع؟ وهل كان من المستطاع أن يغير أنف الملكة المصرية من مجرى هذا التاريخ شيئاً، قصر أم طال؟

وكذلك الحال في نابليون. فإن الثورة الفرنسية وما طل فيها من الدماء وما أحدثت من تغيير وما ذاع فيها من الخيالات وشاع من الأوهام، وتفكك بلاد ألمانيا وضغط إيطاليا وانحلال أسبانيا، وتيقظ الروح الحربي في فرنسا لما أن هاجمها أعداؤها ومرجل الثورة يغلي في بطنها؛ جماع هذا كان من شأنه أن يبعث

«نابليوناً» ما، لو لم يكن بونا برت لكان غيره، ولأحدث من الأحداث ما كان من الطبيعي أن يؤدي إلى نفس النتائج التاريخية التي أدت إليها أعمال نابليون هذا بالذات

وإن شئت فقل إن هذا كان شأن الاسكندر الأكبر. فإن الصراع بين بلاد فارس وبلاد الأغرريق في آسيا الصغرى وفي أغريقية الأوربية بالذات من طريق البحر كان صراعاً مأثوراً بين الأمتين قبل عصر الاسكندر. وكذلك كانت السياسة التي اتبعها الملك فيليبس والده، فقد كانت سياسة خربية رعى بها إلى توحيد كل العالم الهلنستي تحت لواء مقدونيا، بجيش الجيوش ونشأ القواد وأحيا روح البطولة في رجاله، وهم بطيهم من سلالة جبيلية فيهم شيمة القبيلة وطابع العنصرية. ولما مات فيليبس ورث عنه الاسكندر فيما ورث جيشاً منظماً كان قد أعدده للزحف على الشرق عشية مقتله. ولو أردنا أن نعدد الوقائع الكبرى في تاريخ الاسكندر لما عدونا الثلاث عدداً. هي: موقعة غرانيقوس وموقعة إسسوس وموقعة أربل. أما ما بقي بعد ذلك فليست مواقع كبرى، وما عدا ذلك من حياة الاسكندر فحصار لبعض المدن وغناطرات هي إلى الجنون أقرب منها إلى العقل. فهل جميع هذه المقدمات المادية الثابتة، والتي يزيد ثباتاً تقلقل الامبراطورية الفارسية في عصر دارا الثالث واستخدمه لمرتزة من الأغارقة عملوا في جيشه جنوداً وقواداً، كانت تمحي وتزول لو لم يظهر هذا الاسكندر؟ إني أعتقد أن الاسكندر لو لم يظهر لظهر غيره ففعل فعله، وبقي غدير التاريخ متدفقاً في نفس الانجباء وإلى الغايات التي رسمتها جميع هذه المقدمات التي ذكرنا

إن الانسانية ولا شك تقودها يد خفية، ما الاسكندر وهينريال وأوكتافيانوس إلا ألعبيها، مامم إلا الكرات التي يضربها الصولجان إلى الأهداف المرسومة؛ مامم إلا اللحن الذي يسجله القدر على صفحات التاريخ.

فلسفة وفلسفة

الصورة التي تلابس الفلسفة لا تحببها الطبائع الخاصة لكل جيل من أجيال البشر ولا طبيعة البقعة التي يحتلها ذلك الجيل من كرة الأرض لا غير، بل إن للنظمات المدنية وأثر المآهات في حياة الحكومات والأفراد أثرها فيها كبيراً. أما إذا أردنا أن

بحق ، إن الفلسفة في ألمانيا يكتبها الأساتذة ، إما لأساتذة ، وإما لفئة يحاول أفرادها أن يصبحوا أساتذة . وكاتب الفلسفة الألماني من أجل أن ينال الحظوة عند الخبراء بالفلسفة أمثاله ، يعتمد على الاتصال بجمهور القراء ، فلا يكون لا يكتب أثرًا في الحياة العامة ولا في تكييف الذوق العام للأمة

هناك مظهر آخر . فإن الفلسفة الألمانية لشدة ارتباطها بالنظام القائم في بينها ، تنصفت أيا التصاق باللاهوت ، وتلونت في غالب الأمر باللون الذي يوائم ذوق الدولاب الحكومي . لقد اتخذت الفلسفة الألمانية وسيلة لعب النشء في قوالب خاصة ترضاها الحكومة . لهذا اتصفت تلك الفلسفة بشيء من الجلود ولبست ثوبًا حكوميًّا شل اتجاهاتها الطبيعية ، على الرغم من أنها كانت الأثر الفعال ترقية الأهلية الحكومية فجعلتها تنجبه نحو المثل العليا

أما الفلسفة في إنجلترا ، وهي كذلك في فرنسا ، فقد كانت اللسان الناطق بالمعارضة لكل المعتقدات الرسمية للدولة ، ومناوذة صور الفلسفة القديمة التي اتخذت معارقلها الحصينة في حدود المؤسسات الكنسية . ولغظة فيلسوف في إنجلترا وفرنسا ، قد اقترنت دائمًا بمعنى حرية الفكر والتحرر من قيود المأثور ، بل فهم منها معنى الألحاد ومعاداة كل ما تقرر في الأذهان من العقائد والآراء . وعلى الرغم من مختلف الصور التي لا بمت الفلسفة الإنجليزية منذ عصر هوبز إلى بنثام ، ومن لوك إلى هيوم ، فإن الغرض الذي رمت إليه لم يتغير ، ولم يخرج يومًا على حرية الفكر وهي مصدر الابتداع والابتكار

ونحن إذ نرى أن الفلسفة الألمانية قد التزمت مصطلحات بينها واتخذت لنفسها لهجة بذاتها . إذا بنا نجد أن الفلسفة الانجليزية قد كتبت باللغة الدارجة في الأدب . وعلى الضد من هذا نجد الأولى ، فإنك لا شك واقع في فاسفة « كنت » وفي كتابات الكثيرين ممن عقبوا عليه ، على عبارات هي عند أهل لفهم أنفسهم كتاب منلق بسبمة أقفال

لقد اعتقد بعض النقاد ، ولهم اعتقدوا بحق ، أن هؤلاء الفلاسفة قد اكتفوا في كتابة الفلسفة بأن يفهم بعضهم بعضًا ، غير آبهين بأن يفهمهم غيرهم . لقد هام فلاسفة الألمان بالغموض

نجلو عن هذه القضية فنبني لنا أن نحصى في مقارنة نسوقها في الفارق بين أمتين كبيرتين من أمم العصر الحاضر ، امتازتا بفريقين من الفلسفة لسكر منهما طابع مستمد من خصائصهما الأصلية ، هما إنجلترا وألمانيا

إن نظرة دقيقة تثبت لنا أن فلاسفة الألمان يشغلون في عالم الآداب الإنسانية مكانًا غير المكان الذي يشغله الانجليز . وأول شيء يستلفت النظر أن النبع الذي يفيض بالفلسفة في إنجلترا ، بصرف النظر عن بعض الشواذ ، لم يكن الجامعات الإنجليزية ، ولا الرجال الذين اشتغلوا بمهنة التدقيق فيها . هذا على العكس مما هو في ألمانيا ، فإن كثر الفلاسفة ومشمحل الحكمة كان على الدوام في أبدى أساتذة الجامعات

ونظرة أخرى . فانه لا شك مثلاً في أن إسرافًا كبيرًا يحل بالجهود العقلية ، وانحرافًا عظيمًا يمتور البحوث الفلسفية إذا لم يهيم على أمثال هذه الأشياء النظام المدرسي والروح الأكاديمي . ولكن في التحرر من هذا النظام وذلك الروح لقيًا أخرى لها من الشأن ما يروض على الآداب ما تفقد بالتحرر من الروح الأكاديمي الصرف . فإن الباحث الذي يتعلم بنفسه ويشمر بكرامة المعصامية العلمية التي يحوزها بمجده الذاتي لمو بذاته من تدعوه « المفكر المستقل » التحرر من آثار تلك الظاهرة التي تدعى الاثباتية ، ومعناها الأقرب الاتفاق بين فئات من المفكرين على الترويج لمذهب بينه أو فكرة بذاتها أو نزعة ما . فإن المفكر المستقل ، وتلك أولى مميزاته ، إنما يكب على درس مشكلات الفكر والحياة ، لا لأن من الواجب عليه أن يقول شيئًا فيها ، كما يحتم النظام على أصحاب الوظائف ، بل لأن تأملاته أدت به إلى إدراك معضلات حقيقية ، فهو يعمل على حل مُفلة وفك طلبها .

وفي الفلسفة الألمانية ظاهرة أخرى . فقد تقيدت تلك الفلسفة خلال عدة قرون متتالية بتقاليد خاصة وانتزعت اصطلاحات بينها واستعمالات بذاتها ، تنزل من الفكر منزلة تسمو على عقول الأوساط من المعلمين ، وتقيد عقول الخاصة بنظام يجعل الخروج على مقرراتها من أصعب الأشياء . وعلى الجملة تمتاز الفلسفة الألمانية بأحكام الفكرة وأسلوب التفكير ، مشفوعة بقوة ممتازة في التحليل المنطقي ولكن هذه المميزات لها ما ينتقصها . فقد قيل ، وقيل

حتى لقد نعمتهم أهل بلادهم أنفسهم بأن فلسفتهم تعميه مقصود
في سبيل العلم

في سبيل العلم ما احتمل غليليو ، فقد قال إن الأرض هي
التي تدور حول الشمس ، على الضد من العقيدة اللاهوتية التي
اعتنقها الكنيسة الرومانية . لما هم رؤساء الكنيسة بأنهم غليليو
كان مؤلفه قد ذاع في أنحاء أوروبا ، فزاد ذلك غضبهم عليه وتبرمهم
به . وكان على رأس الكنيسة « إريان الثامن » . ولم يكن بابا
لاغير ، بل كان أميراً من بيت « بربريني » ، فأخذته العزة
بالانتم وأمر بأن يمنح غليليو وكتابه هبة منه لمحكمة التفتيش
وعبثاً حاول « كاستلي » البنديكتي أن يفتح رجال الكنيسة
بأن غليليو يحترم الكنيسة ولا يهزأ بمبادئها ؛ بل سدى ضاعت
كل جهوده في سبيل أن يثبت لرجال الدين إذ ذاك « أنه مامن
شيء يمكن عمله ، من شأنه أن يمنع الأرض من الدوران » .
ولكنه طرد ونفي مفضوباً عليه مقصياً به عن الكنيسة ، وقسر
غليليو على أن يقف أمام تلك المحكمة الرهيبة واحداً فرداً بلا مدافع
أو نصير . وهناك عذب مراراً حتى اضطر إلى أن يعلن جاثياً
على ركبته الاعتراف الآتي :

« أنا غليليو ، وفي السبعين من عمري ، سجين جاث على
ركبتي ، وبحضور نخامتك ، وأمامي الكتاب المقدس الذي ألسه
الآن بيدي ، أعلن أنني لا أشابع ، بل ألعن وأحتقر ، خطأ
القول وهرطقة الاعتقاد بأن الأرض تدور ^(١) »

إنه ولاشك قد غلب على أمره ، لأنه قسر على أن يظهر
أمام كل الأجيال القادمة بمظهر الحائث بمله المضحي بقله وبقينه
ومن أجل أن يتم انتصار الكنيسة عليه ، وأن يودى بكل ما بقي
له من شرف النفس ، اضطر رغم منه أن يقسم بأن يفضي إلى
محكمة التفتيش بأمر كل رجل من رجال العلم ، يقول بهرطقة
القول بدوران الأرض

ولقد أثار قسم غليليو هذا عجب الكثير من أهل زمانه ومن
المؤرخين ، حتى أن ذلك كان سبباً في أن ينكر عليه بعض أبناء
عصره « الشهيد » . غير أن هؤلاء لم يقدرُوا ظروف الرجل

(١) يقال إن غليليو بعد أن أعيد بعد اعترافه إلى السجن ضرب الأرض
بهدمه فائلاً « ولكتبا تدور »

قدرها . فلقد كان شيخاً كبيراً عُمر إلى السبعين من السنين
الثقلة بالمهموم والأحزان ، وحطته آمال الدنيا وغاؤها ، وهدهدته
متاعها وواجباتها . وكفى سعى متلهفاً من « فلورنسا » إلى « رومية »
مكباً على وجهه ونصب عينيه تهديدات البابا ، بأنه إذا تأخر عن
القدوم « أخذ في الأغلال » . وكان فوق ذلك مريض الجسم
منهوك العقل ، سُلم إلى أعدائه بيد الذين كان من الواجب أن
يحموه . ولم يكده يبلغ « رومية » حتى احتوته غرف التعذيب
وانصبت عليه الآلام ألواناً . ولقد كان يعرف جيداً ماهي محكمة
التفتيش . وكان يلوح له شبح « جيوردانو — برونو » ^(٢) بين
الطيب مائلاً أمامه ، كأخا ذلك كان بالأمس الفارط ، وفي نفس
تلك المدينة ومن أجل « هرطقة » العلم والفلسفة . وكان يتذكر
أنه من قبل ثمانية أعوام أحبط رئيس أساقفة « إسبالاترو »
وسلم إلى محكمة التفتيش متهماً بهرطقة العلم ، وبقي بين برائتها إلى
أن مات في غياهبات السجن ، وإن جثته أحرقت بعد الموت
مع ما كتب بمراى من « المؤمنين »

ولقد استمر اضطهاد « غليليو » كل أيام حياته ، بل بعد
مئاته . لقد بقي في المنفى بعيداً عن أسرته ، بعيداً عن أصدقائه ،
مقصياً عن صناعته النبيلة ؛ وقسر على أن يظل خاضعاً لعهده
بالا يتكلم في نظريته . ولما أن توسل إلى أعدائه ، وهو بعد
يعاني أشد آلام المرض وأعظم تباريح السقام ، مقرونة بأفسي
الآلام النفسية التي سببتها الكوارث التي نزلت بأسرته ، طالباً
أن يمنح من الحرية بعض الشيء ، كان التهديد بالقائه في غياهبات
السجن ، الجواب على ملتمسه الصغير . ولما أن قررت لجنة
خاصة عينتها السلطات الكنسية بأنه أصبح أعشى لا يصر ، وأنه
ذهب ضحية المرض والحزن ، منح بعض الحرية ، ولكن بمحدود
جعلت تلك الحرية استعباداً

ولقد أجبر على أن يواجه هجمات أعدائه على ذاته وعلى نظريته
هجمات الازدراء والسخرية والتضليل ، من غير أن ينبس بكلمة
شفة أو يحرك بالرد لساناً . ورأى الذين محضوه الصداقة والاحترام ، ينزل بهم العقاب الصارم والظلم الفادح . فتنى
« كاستلي » . ورأى « ريكاردى » رئيس البلاط المقدس و« شيامبولى »

(١) فيلسوف أحرق حياً بأمر من محكمة التفتيش

فلسفة التربية

تطبيقات على التربية في مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٢٠ —

« ... وثقافة الانسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب وما تعلم من العلوم والآداب ، ولكن بمقدار ما أفاده العلم ، وبمقدار علو المستوى الذى يشرف منه على العالم ، وبمقدار ما أوحى إليه الفنون من سمو في الشعور وتذوق للجمال ! » (١)

« للرجل المثقف جسم خاضع لإرادته ، وعقل صاف مثد القوى سهل العمل ملياً بما في الطبيعة من حق عظيم وقوانين كلية ؛ هذا إلى امتلاء بالحياة للنسجة الخادمة لضيقه الحى ، وإلى حب للجمال وكره للتبجح ، وإلى احترام للنفس وللناس ، وإلى وفاق تام مع الطبيعة يفيدها فيه ويستفيد منها ، ويسير معها كوزيرها أو ترجمانها وهي كأمه الحنون ! » (١)

« مكسلي »

١٠ - خريج اليوم

« تابع ما قبله »

عرضت عليك في المقالين السابقين صورتين لخريج اليوم واحدة لمقله وأخرى لخلقته . وسأعرض عليك في هذا المقال صورتين أخريين إحداها لدوقه والأخرى لجسمه :

١ - النامية الروقية

وأحسبك لا تشك في جدارة هذه الناحية في حياة المثقفين وغير المثقفين على السواء ، كما أحسبك ترى مى أن « الحياة الرفيعة » محتاجة إلى « فن » دقيق عظيم قوامه الذوق السليم والمحافظة المصقولة ، والشعور الحى ، والمقل التزن جميعاً . فترى هل يعرف خريجونا هذا « الفن » في حياتهم الخاصة والعامة ، كما يعرفه الأنجليز والألمان والفرنسيون على الخصوص ؟ الحق أن دراسى الاجتماعية في مختلف البيئات الأوربية قد كشفت لى عن فقر مدقع وفوضى أليمة يسيطران ممّا على حياة المثقفين عندنا (١) عنراً لتكرير هذين القولين في هذا العدد أيضاً لأنها كما قلنا

القياس الذى تقيس به خريج اليوم

سكرتير البابا يبعدها « إريان الثامن » عن وظيفتهما محقرين ، ورأى عضو محكمة التفتيش في « فلورنسا » يوخ أفدع تويخ لأنه أمر بطبع كتابه . وعاش ليرى الحقائق التى استكشفها تكتسح من الكليات الكنسية ومن كل جامعات أوروبا ، بل ليرى عضو محكمة التفتيش بأمر بأن يستبدل كل نمت طيب يردده ذكره في أى كتاب يراد طبعه ، بأخبت النعوت وأحط الكريات ومات غليليو . فطلب إلى رجال الكنيسة أن يدفن في مقابر أسرته في « سانتا كروتشى » فأبوا . وأراد أصدقاؤه أن يقيموا فوق قبره أنراً تذكاريّاً فلم يسمح لهم . وقال البابا « إريان الثامن » « لنيكولينى » وهو السفير الذى كلف بأن يمرض بمض الطالب الخاصة بنيليو الميت عليه ما يأتى :

« إنه لأسوأ مثل يعطى للناس ان نسمح بتكريم رجل وقف من قبل أمام محكمة التفتيش الرومانية لأنه روج فكرة مثل فكرته الملوثة بالخطأ والكفران . ولم بقصرها على نفسه بل أقتع بها غيره ، فأحدث بذلك أعظم فضيحة عانت أمرها النصرانية »

ونفذت إرادة البابا ورجال محكمة التفتيش ، فدفن غليليو من غير تكريم بعيداً عن أسرته ، ومن غير تأدية أى واجب دينى ومن غير أن يقام على قبره نصب أو تاريخ يشير إلى المظلمة المخبوءة في ذلك الرمس الذى ضمّ رفاته

ومضى على ذلك أربعون عاماً جرؤ بعدها « يروزى » أن ينقش على قبره تاريخاً يشير إلى حيث دفنت تلك المظالم النبيلة . وبعد مائة سنة استطاع « نيللى » أن ينقل رفاته إلى مسقط رأسه ليضمها في مكان لائق بها ، وأقام عليها نصباً . وكانت النار ما تزال مستمرة والمداء مستحكماً ، فقد طلب إلى رجال محكمة التفتيش أن يحولوا دون هذا التكريم « لرجل آتهم بمثل ما آتهم به غليليو من السيئات والخطيئات » ولهذا رفضت السلطات الكنسية أن يكتب على قبره الجديد أى تذكّار ما لم يمرض نمه على هيئتهم المختصة بمراقبة المطبوعات

فياله من علم وإلهام من حياة !!

اسماعيل مظهر